

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[493] هذه الآيات تأكيد على ما مرّ في الآية 159 بشأن كتمان الحقّ، وهي - وإن كانت تخاطب أحبار اليهود - لها مفهوم عام، لا تقتصر - كما ذكرنا مراراً - على سبب نزولها. فسبب النزول - في الواقع - وسيلة لبيان الأحكام الكلية العامة، ومصادق من مصاديق الحكم الكلي للآية. فكل الذين يكتمون أحكام القرآن وما يحتاجه الناس من حقائق طلباً للرئاسة أو الثروة، قد ارتكبوا خيانة كبرى، وعليهم أن يعلموا أنهم باعوا حقيقة نفيسة بثمن بخس، وهي تجارة خاسرة. الآية الأولى تقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ). هذه الهدايا والعطايا التي ينالونها من هذا الطريق نيران محرقة تدخل بطونهم. هذا التعبير يوضح ضمناً مسألة تجسيم الأعمال في الآخرة وتدل على أن الأموال المكتسبة عن هذا الطريق المحرّم، هي في الواقع نيران تدخل في بطونهم وستتجسّم بشكل واقعي في الآخرة. ثم تتعرض الآية إلى عقاب معنوي سينال هؤلاء أشدّ من العقاب المادي، وتقول: (وَلَا يَكْلَأُ سَمُهُمْ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وفي موضع آخر ذكر القرآن مثل هذا اللون من العقاب لأولئك الذين ينكثون عهد القرآن من أجل مصالح تافهة، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيِّمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَأُ سَمُهُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1). يستفاد من هذه الآية والآية التالية أن واحدة من أعظم المواهب الإلهية في الآخرة أن يكلم القرآن المؤمنين تليفاً بهم. أي إن المؤمنين سينالون في الآخرة نفس _____ 1 - آل عمران، 77.